موجز في تفسير سورة (الطّور)

الصَّبر، وصلاةُ اللّيل، ونافلةُ الصّبح

إعداد : سليمان بيضون

*** سورة (الطّور) هي السُّورة الثّانية والخَمسون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة (السّجدة).**

*** آياتُها تسعٌ وأربعون، وهي مكّيّة، مَن قرأها كان حقّاً على الله تعالى أن يُؤْمِنَه من عذابه، وأن يُنعّمه في جنّته، كما في الرّواية عن رسول الله ﷺ. وقد سُمِّيتْ بسورة (الطّور) لابتدائها بقوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ﴾.**

نشير إلى اننا اعتمدنا في هذا الموجز على العلامة الطباطبائي في «تفسير الميزان»، والشيخ مكارم الشيرازي في «تفسير الأمثل» والشيخ الحويزي في «تفسير الثقلين».

«**الطّور** مطلَقُ الجبل، وقد غلبَ استعمالُه في الجبل الّذي كلّم اللهُ عليه النّبيّ موسى عليه السلام، وقد أقسمَ الله تعالى به لمّا قدّسَه وباركَ فيه، كما أقسمَ به في قوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ التّين:٢، وقال سبحانه: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ..﴾ مريم:٥٢.

وقيل: المُراد مطلَق الجبل، أقسم اللهُ تعالى به لِما أوْدَع فيه من أنواع نِعَمه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا..﴾ فصّلت:١٠».

(العلّامة الطباطبائي، تفسير الميزان)

مَضامين سورة (الطّور)

أوّلاً: «هدفُ سورة الطّور هو إنذارُ أهل التّكذيب والعناد، من الكفّار، بالعذاب الّذي أُعِدّ لهم يومَ القيامة، فتبدأ السّورة، بأَقسامٍ مؤكّدة وأَيْمانٍ مغلّظة، بالإنباء عن هذا العذاب، وعن تَحقُّقِه يوم القيامة، وأنّه واقعٌ بهم لا محالة.

ثمّ تذكر السّورة بعض صفاتِ هذا العذاب، والويلَ الّذي يعمُّهم ولا يفارقهم، وتُقابل ذلك بذكرِ نماذج من نعيم أهل الجنّة، وهم المُتّقون الّذين كانوا في الدُّنيا بين أهليهم خائفين من العذاب، يدعون الله مُؤمنين به مُوَحّدين له.

ثمّ تأخذ السّورة المباركة في توبيخ المُكَذّبين على التّهم التي كانوا يرمون بها النّبيّ ﷺ، وما أُنزل عليه من القرآن، وما جاء به من الدّين الحقّ. وتختم الكلامَ بتكرار التّهديد والوعيد، وأَمْرِ النّبيّ ﷺ بتسبيح ربّه تعالى».

(العلّامة الطباطبائي، تفسير الميزان)

***

ثانياً: تتركّز بحوث سورة الطّور على مسألة المعاد، وعاقبة الصّالحين والمُتّقين من جهة، والمُجرمين والمُفسدين من جهةٍ أخرى، ويُمكن تقسيم محتوى السّورة إلى ستّة أقسام:

١- تُستهَلُّ السّورة بالقَسَم تلو القسَم، وتتناول الآيات الأولى منها عذابَ القيامة، ودلائلَها، وعلاماتها، وتتحدّث عن النّار وعقاب الكافرين فيها. [الآيات من ١ إلى ١٦]

٢- القسم الثّاني يُعدِّدُ نِعَمَ الجنّة التي أعدّها الله، عزّ وجلّ، للمتّقين، وفي هذه السّورة إشارةٌ إلى معظمِها. [الآيات من ١٧ – ٢٨]

٣- في القسم الثّالث من السّورة يقع الكلام عن نُبوّة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وما وَجّه إليه الأعداء من التُّهم، ويردّ عليها بنحوٍ موجز. [الآيات من ٢٩ إلى ٣٤]

٤- في القسم الرّابع بحثٌ عن التّوحيد باستدلالات واضحة. [الآيات من ٣٥ – ٤٣]

٥- في القسم الخامس عَودٌ على مسألة المَعاد، وبعض أوصاف يوم القيامة. [الآيات من ٤٤ – ٤٧]

٦- القسم الأخير من السّورة يختتم الأمور المذكورة آنفاً بأَمْر نبيّ الإسلام ﷺ، بالصّبر، والاستقامة، والتّسبيح، والحمد لله تعالى، ووعْدِه بأنّ الله، تبارك وتعالى، حاميه وناصرهُ. [الآيتان: ٤٨ – ٤٩]

(الشيخ مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل)

ثوابُ تلاوتها

١) عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (الطُّور) كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُؤْمِنَهُ مِنْ عَذَابِهِ، وأَنْ يُنَعِّمَهُ فِي جَنَّتِهِ..**».

(الشيخ الطَّبْرِسِي، مجمع البيان)

٢) عن الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (الطُّور) جَمَعَ اللهُ لَهُ خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ».

(الشيخ الصّدوق، ثواب الأعمال)

تفسيرُ آياتٍ منها

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ الطّور:٤.

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ اللهَ وَضَعَ تَحْتَ العَرْشِ أَرْبعَ أَساطينَ وَسَمّاهُنَّ الضُّراحَ، وَهُوَ البَيْتُ المَعْمورِ، وَقالَ لِلمَلائِكَةِ: طوفوا بِهِ. ثُمَّ بَعَثَ مَلائِكَتَهُ، فَقال: ابْنوا في الأَرْضِ بَيْتاً بِمِثالِهِ وَقَدْرِهِ. وَأَمَرَ مَنْ في الأَرْضِ أَنْ يَطوفوا بِالبَيْتِ».

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ الطّور:٦.

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ يونُسَ لَمّا آذاهُ قَومُهُ (...) أَلْقى نَفْسَهُ فَالتَقَمَهُ الحوتُ، فَطافَ بِهِ البِحارَ السَّبْعَةَ حَتّى صارَ إِلى البَحْرِ المَسْجور، وَبِهِ يُعَذَّبُ قارونُ».

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾ الطّور:٩-١٠.

* سُئل الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن نفخ الصّور يوم القيامة، فقال: «أَمّا النَّفْخَةُ الأُولى، فَإِنَّ اللهَ يَأْمُرُ إِسْرافيلَ فَيَهْبِطُ إِلى الدُّنْيا وَمَعَهُ صُورٌ (...) فَيَنْفُخُ فيهِ نَفْخَةً فَيَخْرُجُ الصَّوْتُ مِنَ الطَّرَفِ الّذي يَلي الأَرْضَ، فَلا يَبْقى في الأَرْضِ ذو روحٍ إِلّا صُعِقَ وَماتَ، وَيَخْرُجُ الصَّوْتُ مِنْ إِسْرافيلَ، فَيَقولُ اللهُ لإِسْرافيلَ: يا إِسْرافيلُ مُتْ؛ فَيَموتُ إِسْرافيلُ، فَيَمْكُثونَ في ذَلِكَ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ السَّماواتِ فَتَمُور، وَيَأْمُرُ الجِبالَ فَتَسيرُ».

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّٗا﴾ الطّور:١٣.

* مَرّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بعَمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وهما يشربان ويغنّيان ببيتٍ من الشِّعر شماتةً بقتل حمزة عليه السلام، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «أَللّهُمّ العَنْهُمَا، وَأَرْكِسْهُمَا فِي الفِتْنَةِ رَكْساً، وَدَعّهِمَا إِلى النّارِ دَعّاً».

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ..﴾ الطّور:٢١.

١) عن الإمام الصّادق عليه السلام: «الَّذِينَ آمَنُوا: النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَليه وآلِه وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَليه السّلَام، وذُرِّيَّتُه الأَئِمَّةُ والأَوْصِيَاءُ - صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ - أَلْحَقْنَا بهِمْ، ولَمْ نَنْقُصْ ذُرِّيَّتَهُمُ الْحُجَّةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله فِي عَلِيٍّ عليه السّلام، وحُجَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وطَاعَتُهُمْ وَاحِدَةٌ».

٢) وعنه عليه السّلام: «إنّ أَطْفَالَ شِيعَتِنا مِنَ الْمُؤمِنينَ تُرَبّيهِم فَاطِمَة عَلَيها السَّلَام».

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ الطّور:٢٦.

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «صَلَّى أَميرُ الْمُؤْمِنينَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، بِالنّاسِ الصُّبْحَ بِالعِراقِ، فَلَمّا انْصَرَفَ وَعَظَهُمْ، فَبَكى وَأَبْكاهُمْ مِنْ خَوْفِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قالَ: أَما وَاللهِ، لَقَدْ عَهِدْتُ أَقْواماً عَلى عَهْدِ خَليلي رَسولِ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّهُمْ لَيُصْبِحونَ وَيَمْشونَ شُعْثاً غُبْراً خُمُصاً، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَرُكَبِ المِعْزى، يَبيتونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً، يُراوِحونَ بَيْنَ أَقْدامِهِمْ وَجِباهِهِمْ، يُناجونَ رَبَّهُمْ وَيَسْأَلونَهُ فَكاكَ رِقابِهِمْ مِنَ النّارِ، وَاللهِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ مَعَ هَذا وَهُمْ خائِفونَ مُشْفِقونَ».

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ الطّور:٤٩.

١) الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ رَسولَ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كانَ يَقومُ مِنَ اللَّيْلِ ثَلاثَ مَرّاتٍ، فَيَنْظُرُ في آفاقِ السَّماءِ، وَيَقْرَأُ الخَمْسَ مِنْ آلِ عِمْرانَ الّتي آخِرُها: ﴿..إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، ثُمَّ يَفْتَتِحُ صَلاةَ اللَّيْلِ».

٢) وعنه عليه السّلام، في معنى التّسبيح عند إدبار النّجوم: «رَكْعَتانِ قَبْلَ الصُّبْحِ».

(الشيخ الحويزي، تفسر نور الثقلين)

(الطُّور) في كلام العرب هو الجبل، وقد غلب استعمالُ اللّفظ في الجَبل الذي كلّم اللهُ تعالى منه النّبيَّ موسى عليه السلام.

أسلوب العلّامة الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان)

تكاملُ المنهج بين العقليّ والغيبيّ

الشّيخ عارف هنديجاني فرد*

لقد تميّز أسلوبُ العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ قدس سره، في (تفسير الميزان) بالدّرجة العلميّة والرّوح الموضوعيّة معاً، إذ تَراه يستندُ في فَهمه للآيات القرآنيّة على مبادىء وأُسس ثابتة، سواء من القرآن الكريم، أم من السّنّة النّبويّة الشّريفة، وبالمأثور عن أئمّة أهل البيت عليهم السّلام.

وهذه المقالة التي نقدّمها للقارئ هي مقتطف من كتاب الشّيخ عارف هنديجاني فرد الصّادر تحت عنوان (علوم القرآن عند العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ).

كانت الآية الّتي استند إليها العلّامة الطّباطبائيّ، في منهجه لتفسير القرآن الكريم، هي قوله تعالى: ﴿..وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ النّساء:٨٢، حيث إنّها ناظرةٌ إلى حقيقة ما ينبغي أن ينطلقَ منه المُفسّر في فهم آيات الله تعالى وتفسيرها، فيما لو كان مُتوفّراً على الشّروط والصّفات الّتي تؤهّله لهذا التّفسير، لأنّه غالباً ما لا تكون للمُفسّر القدرات اللّازمة للولوج إلى هذا البحر العظيم الّذي لا يُدرَكُ قَعرُه، فهو كلامُ الله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصّلت:٤٢.

ثلاثة مصادر لفَهم القرآن

انطلاقاً من ذلك، نرى أنّ العلّامة الطّباطبائيّ يختلف عن سائر المُفسّرين في كونه جمع إلى الإحاطة المعرفيّة الكاملة للقرآن، القدرة العقليّة الّتي تميّز بها في تناول آيات القرآن للكشف عمّا تهدي إليه، سواء في مجال الدّين أم في مجال الدّنيا.

يقول آية الله الشّيخ جوادي الآمليّ في كتاب (الطّباطبائيّ مفسّراً وفيلسوفاً): «إنّ العلّامة بنى تفسيره على ثلاثة مصادر يستحيل أن يتعارض معها القرآن، وهي:

أوّلاً: المُحكَمات من الآيات.

وثانياً: السُّنّة القطعيّة.

وثالثاً: المبادىء العقليّة والأصول اليقينيّة». (...)

إنّ الإحاطة العلميّة الواسعة للعلّامة الطّباطبائيّ بالقرآن والسُّنّة من جهة، وبعلوم الحياة من جهةٍ ثانية، مع ما رافق ذلك من تكاملٍ سلوكيّ في شخصيّته، كلّ ذلك جعل من أسلوبه في التّفسير أسلوباً كاشفاً عن كثيرٍ من الحقائق القرآنيّة.

وإذا كانت للعلّامة الطّباطبائيّ هذه الميزة، فهو إنّما ارتكز إلى حقيقة ما للقرآن من معانٍ وأبعاد تتجاوز العالم الحسّيّ، إلى عالم ما بعد المادّة، ذلك العالم الّذي أنزل منه القرآن على قلب رسول الله، صلّى الله عليه وآله، حيث تلقّى القرآن من لدن عليم حكيم.

وطالما أنّ لهذا القرآن هذا المعنى في عالَمي المُلك والملكوت، وأنّ ﴿..ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ..﴾ الإسراء:٩، وأنّه لو ﴿.. كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ..﴾ النّساء:٨٢، فقد أوضح هذا كلّه للعلّامة الطّباطبائيّ طريقة الوصول إلى الحقائق القرآنيّة، لأنّ ما ليس من عند الله تعالى يقع فيه الاختلاف. والّذي يهدي إلى الّتي هي أقوم تتجلّى فيه المعرفة الكاملة، خلافاً لبقيّة الكتب، وهذا دليل واضح على أنّ كلام الله تعالى لا يُشبه كلام الخَلق، كما لا تشبه أفعاله أفعالهم. (...)

لذا، فإنّ من أهمّ ما تميّز به أسلوب الطّباطبائيّ في تفسير

* عالم دين وباحث إسلامي من إيران

القرآن، فضلاً عن معرفته الكاملة للقرآن، هو إيمانه القويّ بالرّسول، صلّى الله عليه وآله، والأئمّة الأطهار، عليهم السّلام؛ إذ هو لم يكتفِ بعرض الآيات القرآنيّة على نحو ما اشتهر عنه من تفسيرٍ للقرآن بالقرآن، وإنّما سعى إلى تفسير الآيات بالسّنّة القطعيّة، لأنّ سنّة أهل البيت، عليهم السّلام، والقرآن مرتبطان بحقيقةٍ واحدة، هي حقيقة الحقّ المحض، فكيف يمكن أن تختلف السّنّة مع القرآن؟

وقد ثبت أنّ الثّقلَين، كتاب الله وعترة أهل البيت عليهم السّلام، لا يفترقان حتّى يَرِدا الحوض على النّبيّ صلّى الله عليه وآله، إلى غير ذلك من الأحاديث النّبويّة الّتي تساعد على التّجلّي في التّفسير للقرآن فيما انطوى عليه من عبادات ومعاملات وسياسات، ومنهج قويم، وكمال دين، حيث إنّ القرآن هو كتاب كامل نزل به الرُّوح الأمين على قلب رسول الله، صلّى الله عليه وآله، ليكون مُبشِّراً ونذيراً، من خلال القرآن الّذي جعله الله تعالى تبياناً لكلّ شيءٍ، لا في مجال الهداية وحسب، كما هو مبنى ظاهر اللّفظ من البيان، وإنّما في ما هو كائن ويكون إلى يوم القيامة، وكما يرى الطّباطبائيّ أنّ هناك رواياتٍ لو صحّت تكشف عن أسرار وخبايا لا سبيل للفهم المُتعارف إليها.

المنهج العقليّ - الغيبيّ

إذاً، هناك ما يميِّز أسلوب الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان)؛ فهو بالإضافة إلى قدراته العقليّة، واستيعابه الآيات القرآنيّة من حيث مدلولاتها وما تعرّضت له من مواضيع وحقائق، نرى أنّ الطّباطبائيّ أحاط بما سبقه من أهل التّفسير ومناهجهم، عارضاً لكثيرٍ من أغاليطهم في مجال الفهم والتّحليل، إضافة إلى المعارضة في ما عرضوا له، سواء لجهة فهم الآيات القرآنيّة بذاتها، أم لجهة الاستدلال عليها بالرّوايات الّتي لا تصلح لأن تكون دليلاً، وهذا ما أدّى إلى أن يكون القرآن عرضة للتّفسير بالرّأي، ولضَرب القرآن بالقرآن، ويكفي للتّدليل على هذا المعنى التّأمّل في ما عرض له كثير من المفسِّرين في فهم الشّجرة الملعونة في القرآن، إلى غير ذلك من الآيات الّتي جزّأت الحقيقة الواحدة، ومنعت من فهم المُراد منها.

وممّا تجدر الإشارة إليه هنا، هو أنّ الطّباطبائيّ لم يسلك في تفسيره، وفي أسلوبه طريق الاستدلال بالآية على الآية وحسب، بل نراه يميّز في استدلالاته بين ما هو ناظرٌ إلى المعارف العقليّة، وبين آيات الأحكام العباديّة، نظراً لما كان يمتلكُه من منهجٍ عقليٍّ ميّز أسلوبه في التّفسير، وتجنّب من خلاله التّعارض مع الدّليل العقليّ القاطع، ولذا هو ميَّز بين الآيات الّتي لها بُعْدٌ عقائديّ، وبين الآيات ذات البُعْدِ التّشريعيّ العباديّ، على اعتبار أنّ العبادات ليست مجالاً للعمل العقليّ، وإنّما هي توقيفيّة.

وكان إذا لم يعثر على دليلٍ ضمنَ البحوث العقليّة، يفسّر الآية بحيث لا تتعارض مع أيّ دليلٍ عقليٍّ قاطع. ولا شكّ في أنّ المُتأمِّل في تفسير الطّباطبائيّ يلحظ كيف أنّه لم يستغرق في آيات الأحكام والعبادات لكونه يعتبر التّفصيل بشأن أحكامها من اختصاص كُتُب الفقه، وهذا ما بيّنه في مقدّمة تفسيره مُفضّلاً عدم التّعرّض لها

بنى العلّامة تفسيره على ثلاثة مصادر يستحيل أن يتعارض معها القرآن، وهي: المُحكَمات من الآيات، والسُّنّة القطعيّة، والمبادىء العقليّة والأصول اليقينيّة.

لم يسلك الطّباطبائيّ في تفسيره، وفي أسلوبه طريق الاستدلال بالآية على الآية وحسب، بل نراه يميّز في استدلالاته بين ما هو ناظرٌ إلى المعارف العقليّة، وبين آيات الأحكام العباديّة.

إلاّ بالمقدار الّذي لا يُخلّ بعمليّة التّفسير، الّتي لا بدّ من التّواصل بها في سياق عرض الآيات في السّورة الواحدة. (...)

إنّ أدنى تأمّل في ما عرض له الطّباطبائيّ في تفسيره (الميزان)، يكشف عمّا بلغه من باعٍ في التّفسير، إذ استطاع أن يحدث قفزةً نوعيّةً في التّفسير القرآنيّ رغم أنّ هناك المئات من التّفاسير القرآنيّة وبمناهج متنوّعة، إلّا أنّ للـ (ميزان) ميزته وتفرّده بين هذه التّفاسير، لأنّه جمع إلى تفسير الآية بالآية، القدرة العقليّة المُتميّزة، لكون الطّباطبائيّ هو مِنَ الذين يؤمنون بأنّه لا تناقض بين العقل والوحي، لأنّ التّناقض معناه عدم قبول العقل القطعيّ، واعتبار الوحي الإلهيّ باطلاً، وهذا بحدِّ ذاته يؤكّد استحالة التّضادّ بين حُجّتيْن من حُجَج الله سبحانه. وكيف يُمكن لباحث أن يستثنيَ العقلَ في تفسيره القرآن، وجميع المعارف الإلهيّة والحقائق الموجودة في القرآن مستندة إلى حقيقة واحدة، وهي أصلها جميعاً، كما يقول الطّباطبائيّ، وهي التّوحيد. فالقرآن، كما يرى الطّباطبائيّ، يؤيّد التّفكّر العقليّ ويعتبره جزءاً من التّفكير الدّينيّ، والتّفكّر العقليّ بعد أن يصادق على صدق نبوّة النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، يجعل الظّواهر القرآنيّة بما فيها الوحي السّماويّ، وأقوال النّبيّ وأهل البيت، عليهم السّلام، من موارد الحُجَج العقليّة.

لقد ابتعد الطّباطبائيّ، كما هو مشهودٌ له، عن التّفسير بالرّأي، أو بالرّوايات الّتي لم يصحّ سندها إلى النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، والأئمّة المعصومين، عليهم السّلام، كما أنّه ابتعد عن التّفسير العقليّ المحض رغم إيمانه بأنّ العلوم والمعارف الدّينيّة تتعلّق بما وراء الطّبيعة، باعتبار أنّها مُنزّهة عن الخضوع لقوانين الحركة والمادّة، فهي تتمتّع بأصلٍ ثابت، وبحقيقةٍ ثابتة غير مُتغيّرة.

ولعلّه لا يكون من المبالغة القول، إنّ أسلوب الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان)، لو أنّه سبق للمُفَسِّرين أن اعتمدوه أو أخذوا بشيءٍ منه في سياق بحوثهم القرآنيّة، لاكتشفوا الكثير من أبكار الحقائق، ولكنّهم اكتفوا بحدود الرّوايات وما تفيده من دلالات في سياق المعنى الدّينيّ، ما أدّى إلى (أن تصبح) التّفاسير القرآنيّة شعراً منثوراً، أو ألفاظاً وقوالب مادّيّة لا يستبين فيها الأمر إلّا بمقدار ما يتعمّق فيه هذا المُفسّر أو ذاك في الكشف عن الأبعاد اللّغويّة، والبلاغيّة، والإعجازيّة التي ينطوي عليها القرآن الكريم.

ولكن، كما تبيّن لنا، في سياق عرضنا لأهمّ ما تميّز به أسلوب الطّباطبائيّ، أنَّ كثيراً من التّفاسير أخرجت القرآنَ من كونه تجلّياً لتجعل منه تجافٍ، وتجاهلت أنّ الألفاظ إنّما وُضعت لأرواح المعاني، إلى غير ذلك ممّا لم يتنبّه له كثيرٌ من المُفسِّرين، وخاصّة في مجال تجلّي القرآن، الّذي يرى فيه الطّباطبائيّ، تجلّياً طوليّاً ينتهي به إلى أمّ الكتاب. ولهذا، فإنّك تجده يركِّز على معارف القرآن الطّوليّة، ويضع كلّاً منها في مرتبتِه الخاصّة به، وقد يطول الكلام فيما لو أردنا الحديث عمّا تميّز به أسلوب الطّباطبائيّ في تفسيره، الّذي جعل مُحكمات القرآن أساساً له، كما قال الإمام الرّضا عليه السّلام: «**مَن رَدَّ مُتَشابِهَ القُرْآنِ إلى مُحْكَمِهِ فَقَدْ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ**».

فالقرآن، كما يرى الطّباطبائيّ، يؤيّد التّفكّر العقليّ ويعتبره جزءاً من التّفكير الدّينيّ، والتّفكّر العقليّ بعد أن يصادق على صدق نبوّة النّبيّ ﷺ.